

بجی سیم



سفیان

قصة في الجحيم

بقلم: سفيان ل

تصميم الغلاف: سفيان ل

لا تنسى متابعة الكاتب:

<https://www.facebook.com/soufiane.ebssi.3>

هام

أرجوا مك دعمي على الفيس بوك بمتابعتي ومشاركة الإقتباس
الذي أعجبك

مقدمة

أحيانا تُفرش الأرض بكل الخطايا تحت أقدامنا.. ليكون المفرد
الوحيد أماننا يقودنا إلى الجحيم !

هذه النسخة خاصة بموقع فولة بوك ولا يحق لأي طرف
استخدامها بأي طريقة ولأي غرض إلا بموافقة خطية من الكاتب
سفيان ل

في الجحيم

أراك في الجحيم، قالها بصوت بارد بينما يغرس السكين في رقبتة
مبتسما، حتى بدأت عيناه تتقلب في حجرتها ولونه أخذ يتبدل
بلون سماء الغروب. غربت الحياة من جسده اللعين إلى الأبد،
ماهي إلا لحظات قليلة حتى أخذ صاحب الروح روحه ونطق
الغريب باستخفاف وهو يبتسم حد السرور، أطلق صرخة
سعيدة بالإننتصار منحنيا لتحية الصمت وخيوط الشمس التي
تسللت عبر فتحة السقف المهشمة؛ وأكمل بحروف ثقيلة جافة
كقلبه:

- كلب آخر صار عبرة كغيره..

مسح سكينه على وجه ضحيته، ثم فتح فمه وزرعها هناك
ليصبح المنظر لعيناً يخيل إليك أنه من فعل شيطان متعطش
للموت.. ابتسم مستهترا بجلالة المشهد وأخذ نفسه حاملا البشر
ورحل يهدوء..

انقضى الموت وراح الشر إلى سبيله، والصمت مازال سيد الأمر. منذ البداية كان الطفل يختبئ مرتعشا من هول ما يراه، لا يصدق كيف للموت أن يكون بتلك السهولة، وبعد دقائق وما إن تأكد من رحيل الرجل، حتى أخذ يتسلل ببطء نحو الجثة، وقف أمامها يتطلع بدقة للوحة الشر التي رسمتها يد شيطان بإتقان أمامه، ثم زرع كف يده في جيب الضحية أمامه لتثمر محفظة مليئة بالمال وبعض الأوراق التي استلها وطرحها أرضا غير مبال بما فيها، ما أن أفرغ المال من جيوب الراحل حتى لمعت عيناه:

- كم هو جميل هذا الخاتم، كأنه يلمع بشكل غريب..
سيحبه والدي

كلم نفسه بصوت تغلبه الدهشة ويقتله الطمع، أمسكه من يده وهو يرتعش من فرط الحماس واستلّ خاتمه، وأكمل المهمة بخفة حتى أفرغ كل شيء ثمين، ترك الراحل للصمت يحتضنه ويهون عليه، ورحل يتسلل عائدا لبيته. ضحكة هوجاء تأخذه وتعيدة طوال الطريق، كان يمشي مسرعا يخيل إليه أنه أمسك السعادة بيده وأسرها، بخطوات متسارعة فتح الباب واقتحم المكان وابتسامة غائرة على ثغره لم تغفلها تلك العيون الحادة لوالدته، لتمد يديها تطالبه الإفصاح عما في جعبته..

مد لها ما جادت به الموت، جعل عينها تلمع ساخرة ببهجة:

- كيف عثرت على هذا الكنز الثمين...

- كنت كالنسر يا أمي، لن تصدقي شجاعي اليوم

ابتسم الطفل ذو الثانية عشر وهو يحكي ما حصل، ويطلع والدته على قوته، وتحمله للمشهد، وهدوءه التام الذي لم يلحظه القاتل، وكل إنجاز العظيم، حتى رحل الرجل وتفرد هو بالجثة ليستبيح حرمتها.. كانت الأم فخورة بشجاعة الولد وربتت على كتفه وهي تعلي من شأنه بصوتها وتحفتي برجلها الصغير كما تنعته دوما...

- هذا هو رجلي الصغير، أنظري لشجاعته

بإطرائها احمرت وجنتاه خجلا، واسودت الدنيا، وانطفأت السماء أسفا. وبينما تزداد البهجة بين الإثنين، والحزن يزداد في الدنيا، بدأت نقرات القفل تشوش لحن الفرحة، وتستل بعض القلق، فتح الباب وتسلك ظل طويل على الأرض كحيّة تسير فوق الرمال لحقه رجل أسمر يدلدل يديه أمامه ببدلته الزرقاء القاتمة، نظر غير مبال بالبهجة التي تحيط بالولد وأمه، وأمر الطفل أن يخرج ليجر علبة تركها أمام باب البيت.. ابتسم غصبا

عنه واحتضن زوجته ليقبل شفيتها، ويمتص بعد الراحة منها،
أحاط خصرها بيديها وسجها إليه بشدة ليضربها ضربة حب
خفيفة حيث يحب قائلًا:

- أحتاج بشدة لهذا الجسد الناعم

مثلت كأن الأمر فاجئاً لها لتستل من بين يديه وهي تضربه على
كتفه ضربة خفيفة وتضحك برقاعة:

- استحي ليس هذا الوقت المناسب لأفكارك المريضة

- معك كل الأوقات مناسبة

- تبدو متعبا

- آه حبك أرهقني

- كن جادا قليلا

- أحبك بجد

ضحكت وهي ترد باستسلام

- لستُ نداءً لك اليوم

- يا حبيبتي أنت تكسبين كل شيء وما أنا إلا رجل ضعيف

أمام عينيك

ضحكت بصوت عال، حتى صارت بعيدة عنه فجأة وخيل له أنها لم تكن بجانبه وأن تلك الأحضان والقبل لم تكن إلا خيالاً سببه التعب... ابتسم وهو يبعث قبلة صامتة إليها، رفع رأسه ليتحقق طريقه ثم ترك جسده يتهاوى على الأريكة ويغط في صمت عميق..

جلست الزوجة على الكرسي ووضعت كل العلب على الطاولة، حملت مفكرة صغيرة وبدأت بالحساب، كانت تتحقق من كل عدد، وكل فاصلة وما بعدها، تحسب كل شيء بدقة لتفتح عينها وتصرخ كعادتها كل يوم وهي تقدم شفها السفلى وترفعها باغتياض:

- يا حبيبي هذا لا يكفيننا لكل النفقات، عليك أن تسرق المزيد...

ابتسم الزوج وهو يرد بصوت أنهكه التعب:

- إني أبذل كل جهدي يا حبيبي..

لترد عليه وهي منزعجة:

- لن يكفيننا كل هذا، لولا ما أتى به رجلي الصغير شوقي لما تمكنا من قضاء الشهر..

ثم أكدت عليه مجددا بسرقة المزيد.. لمهز رأسه ويكمل سباته
العميق قبل العودة مساء لعمله اللعين...

حل الظلام مستعجلا هذه الليلة، كأنه يتقرب مخفيا ما بجعبته،
دب الصمت أرجاء المكان وراح كل لسبيله، انطفأت الأنوار
وانطفأت الأصوات وراحت الأجساد كل في طريقه، اقفل الرجل
بابه وسحب زوجته:

- اشتاق إليك كل لحظة، دليني إلى سبيل الخلاص
- كم أنت شقي
- جمالك علمني أكثر من هذا

ابتسمت بغرور وانسلت من بين يديه وهي تحرك جسدها بإغراء
لتشتد حاله أكثر وأكثر.. وتشعر هي بسعادة بالغة.. لم ينتظر
لحظة حتى انقض عليها وأخضعها لحبه، سحب كل شيء يحجب
الحب عنه وبدأ يتغزل بكل معاني الحب التي يعرفها ولا يعرفها،
يمد يديه لكل ذرة فيها، يشرب الحب من صدره، همس بصوت
مرتعش كلاما لا يفهمه إلا من هم في حالها.. استسلمت تماما
وغطته بأنوثتها وحبها ليبدأ الحب يشتعل فيهما...

وسط أنفاسهما المتقطعة وصوت الشهوة الذي غطته ستائر
الصمت، بدأ صوت تصفيق خفيف يتسلل إليهما، يزداد شدة في
كل لحظة، وقف الرجل الأسمر غاضبا مترقبا ما هذا الصوت وما

مصدره، ليصل إلى نظره ظل يحدق فيه ويقول بصوت يكاد يشبه
دق الطبول:

- يعجبني أداؤك دوما

ابتسم ابتسامة سمع صوتها كحفيف أفعى، لم يصدق الرجل،
كيف أتى هذا الشيء إلى منزله وكل الأبواب موصدة، وقبل أن
يتخذ قراره وينقض عليه سمعه مجددا:

- ظهرت لأنك استدعيتني

- ماذا

قالها والغضب يحوط بأنفاسه، ويسري في عروقه النافرة..
مستعدا لينقض على هذا الغريب يرديه قتيلا...

- الخاتم

أشار الغريب ليدي الرجل الأسمر وأكد له مجددا..

- يتم تحريري حين يلبس أحد الخاتم، وأنت كذلك

شد الغريب إصبعيه وأصدر فرقعة خفيفة ليحول الغرفة البالية
لشيء آخر، كأنها جناح في قصر عظيم، كأنه بيت من عالم آخر..

ليعيد فرقة إصبعيه مجددا وتعود الغرفة على حالها، كالحة
قاتمة بالفقر والغضب... مستدركا أضاف الغريب..

- لا تقلق ظهرت لأجلك. لأحقق لك أمنياتك..

اشتد الخوف، وبدأت مشاعر الطمع تعرف طريقها إليه، نظر
حوله لغرفة تكاد تشبه مكب نفايات بأثاثها القديم البالي، وتلك
اللوحات الشاحبة ألوانها، مطموسة التفاصيل كأنها صورة
لحياتهم، تأمل طويلا وهو يسأل بصوت قوي:

- من أنت، وماذا تريد

ضحك الغريب وهو يوقد النور من عدم ويظهر نفسه، ليجده
يجلس على حافة السرير فجأة، يحيي رأسه أرضا وهو يقهقه
بصوت مسموع، ويكمل حديثه:

- لست من النوع الذي تُسر بمعرفه، فانسى أمر من أكون.

ورفع رأسه والتفت يسارا لتقع عيناه على عيني الرجل الأسمر
ويبتسم ابتسامة ماكرة كالثعالب:

- مجددا، ظهرت لأجعلك من الأسياد..

طمع لعين التمتع في عينها ورغبة زائغة تطوف حول أفكارها
تدفعها دفعا للقبول، وقبل أن ينطق زوجها بحرف قالت بصوت
واثق، ولكنة يغلفها الطمع:

- لو الأمر مريح نحن موافقان، ولكن حدد ماذا تريد بدقة
قاطها الزوج مستدركا بصوت مستعجل ترنُّ فيه أجراس الحذر،
لاهثا من خوف يسود قلبه:

- دعنا نفكر قليلا

وقف الغريب تاركا قصاصة صغيرة على السرير وهو يقول بصوت
يغلفه الهدوء والثقة:

- العنوان هناك. حررني من لعنتي، وسأحررك من فقرك،
وكل مخاوفك.

ضحك بصوت عالٍ، وصقّق مرة واحدة ليجعل النور يتلاشى معه
وقبل رحيله رمى نظرة ليس لها إلا معنى واحد أدركاه سريعا:

- تلك فرصة لن تعوض أبدا

ورحل.. لم يدركوا كيف جاء وكيف رحل.. سارعت الزوجة وهي تنقض على الورقة لتقرأ ما فيها، وبجوارها الزوج يحاول استيعاب الأمر...

ضحيج كرية ماكر احتل أفكاره، سدّ كل أبواب العقل وأحاله إلى حيث يهتدي الشر دوما. حيث الطمع سيد الكلام..

نظر لزوجته المنتشية من أحلامها العظيمة، أحذه شعور الخسة إلى حيث يحلم. إلى أرض هو سيدها، حيث يملك كل ما يريد، وكل ما لا يريد. واشتد به الطمع حتى ذروته. ليأخذ القصاصة من زوجته ويبدأ في قراءتها متسائلا..

- ما هذا الشيء اللعين الذي أتعامل معه

تأمل الخاتم وبدأ يتمعن تلك النقوش الدقيقة، وذلك الوهج الغريب... كان مرتعبا.. ولكن خبث النزوات أشد من خوفه..

تأملا طويلا ولم ينجح في تركيز أفكاره المتمردة والوصول بها إلى بر الأمان. خاطبها سائلا:

- ما العمل

كانت الزوجة حاسمة موقفها

- إفعالها

أصفأ عيونها أفا لأأاأ أأللة؁ وءس الورقة بعءها أأأ
المأءة وسأب الغطاء لفسءل سآائر عفنله لفسأ للظلام مآالا
راأفا الرأفل بأفسه لأرض الأحلام الآ كانآ بعفة المنال هءه
الللة..

قرأ الورقة وبقي يتأمل طويلا مترددا، شجعته زوجته وقالت بأنه إن كان الإنفاق حقيقة فقد يكسبوا الكثير، وإن لم يكن كذلك فهم لن يخسروا إلا القليل... لم يقتنع تماما بكلامها ولكنه قرر خوض التجربة وتحمل العواقب، فكل وردة لها أشواكها...

لم ينم الليل بطوله، وبقي وزوجته يفكران في الأمر، حتى شقت الشمس بنورها عتمة السماء وتسلفت خيوطها إليهم. حملت الزوجة نفسها وبدأت تشد جسدها النحيل لتتخلص من أوجاع السرير المتهالك. تقدمت خطوات قليلة وبدأت كعادتها تخلص خصلات شعرها المتشابكة في ألم مزعج. وما إن خلصت حتى أخذت تحاول إيقاض زوجها الذي كان يتصنع نوما لم يئن به قط لينهض من غفلة قاتمة عابس الوجه ثقيل الجثة كمن مرّ عليه الدهر بكل ثقله.

حل الصباح بلون شاحب وصوت بليد منفر من الحياة، نداء
بائعين متجولين وصراخ أطفال لا ترى الراحة مكانا بينهم. حتى
أصوات الطبيعة كانت بطعم كرية كأن اليوم يوم جنازة رجل
كرية لا يطيقه بشر..

خرج مسرعا كعادته وحمل معه كف زوجته ليقبلها مستعجلا
على الباب، متخبطا في خطاه لا يكاد يبصر الطريق، استل
دراجته الصدئة وأخذ نفسه ليبدأ ما تقرر في تلك القصاصة
المشؤومة. صار يفكر في كل شيء.. يزيد تردده بعد كل خطوة،
متسائلا هل ينفذ ما طلب منه، أو ينسى الأمر.. بقيت الأسئلة
تحاوطه حتى سحبتة الحديدية الجرداء المجاورة إليها بصوتها
الغائم. بدأ طنين عجلته يشدد ويشدد هناك ليزيد المنظر قبحا
ليخيل لسامعه كسعال رجل يحتضر..

شق طريق الصمت المغلف بصرير العجلة، وسار يقذف برماح
إصراره نحو نهاية الغابة قاصدا مكانه المفضل لإيقاف العجلة
ليكمل الطريق مشيا..

حمل الورقة مجددا ليتحقق من وجهته، تمعن في العنوان جيدا،
وقبل أن يضعها في جيبه بدأ لونها يميل إلى الحمرة فالسواد حتى

سارت رمادا تتناثر ذراته بين يديه وفي النسيم... اقتلع الرعب قلبه، وفي لحظة عاد لرشده وقرر أن يكمل ما بدأه.. الآن لم يعد بهم ما سيحصل، لا بد أن يكمل الأمر...

أمام مستشفى الأمل، مسائلا:

- وهل هناك أمل وأنت على سرير الموت أو المرض

ابتسم متجاهلا لافتة المستشفى التي سخر منها توًا، وأكمل إلى الشارع الأول بعدها وفي آخر الرواق كما كان محددًا في ورقة الغريب، كان هناك زقاق صغير أخذه حتى وصل لنهاية مسدودة ووقف هناك.. واستدار متأملًا كل ما حوله، لا شيء غير جدار قصير يحيط به، وبعض البنايات التي تشوه جمال الطبيعة.. كان الصوت قاتما كالصمت تماما، والشمس ذابلة فوقه.. بقي يلتف كل دقيقة باحثًا عن أي إشارة..

حتى رسم على الجدار باب من عدم، فتح وخرج منه الغريب مرحبا:

- ها قد أتيت

- كيف... كيف ظهرت !

كان يسأل ورعشة الخوف تتسلل عبر شرايينه، لا يستطيع التفكير في شيء فقد بدأ يخاف من هذا الغريب اللعين الذي لا تسري عليه قواعد الحياة الدنيا...

ابتسم الغريب وهو يرحب به مجدداً، ويدعوه:

- أهلاً بحظورك، تفضل للداخل، ستجد ما يسرك

ما إن أكمل حديثه حتى اختفى كأنه لم يكن.. بقي الرجل الأسمر متمسراً مكانه لحظات طويلة حتى أفاق وقرر المضي..

اتبع الرواق وكانت هناك ورقة على طاولة هناك في آخره.. بدأ يطالع الورقة وهو شديد الحرص، كان يخشى حدوث شيء، فذلك الغريب اللعين يظهر ويختفي كطيف من عالم ليس كعالم الأحياء..

ما إن حمل الورقة الثانية حتى انقلب المكان فجأة، صار داخل غرفة صغيرة، جدرانها لا تكاد تحتل الوقوف من كثرة ما حل عليها، ظهر نور الشمس الفاتر مجدداً وهو يتسلل عبر شقوق السقف ويتلاشى كلما مرت سحابة عابرة عليه، وما إن استقر الأمر بدقات قلبه حتى حمل الورقة مجدداً متمعناً ما فيها..

- ما هذا الذي يحدث

قالها حيث تقلبت مشاعره وبدأت غصة تخنق أنفاسه، كأن
البحر يغرقه

- ما هذا الألم بداخلي

اشتدت كل مشاعر الألم والحزن واستبدت حرقة الضعف
بداخله.. حتى سمع صوتاً عظيماً يضحك من بعيد، ليسمع
طرقعة عرف مصدرها وصاحبها..

- تأخرت كثيراً يا صديقي اللعين، أعتذر. هل جربت تلك
الغصة الخانقة، جميلة، أليس كذلك؟

صاح الغريب وهو يظهر من عدم، يحرك يديه بشكل دائري
غريب كساحر بدأ عرضه تَوْاً مكماً حديثه:

- الآن حان وقتك

سكين سار بسرعة مهولة اخترقت حنجرة الرجل الأسمر أخذ
روحه الشقية إلى حيث تنتهي.

- جرب بعض الألم قبل راحتك، والآن ما هو شعورك أيها
الحقير، إنتهت الحكاية

قالها ضاحكا وهو يقترب من الجثة بخطوات بطيئة رافعا رأسه
عاليا، مكملا حديثه.

- كم أنتم أغبياء أيها البشر

مد يديه أخذا السكين ليمسحها بوجه الميت ويزرعها في فمه
راسمها لوحة شر عظيمة.

- أراك في الجحيم

قالها بصوت بارد ليختم المشهد بابتسامة ساخرة، رافعا يديه
عاليا كي يحيي الصمت والفراغ حوله بثقة مبالغة، وابتعد
مختفيا في الظلام حاملا الشر معه بهدوء..منتظرا من سيحمل
الخاتم بعده...

نلتقي في الجزء الثاني